من تراب الطريق (٤٩٦)

غياب الوعى أم فقدان الإحساس ؟! (*)

على رأس الصفحة التاسعة، لإحدى صحفنا القومية بعددها ١٥/ ١٠/ ٢٠١٠ طالعت «مانشيت» سماويا عريضا يقول سطره الأول : « عباس متفائل بنجاح الجهود الأمريكية باستئناف المفاوضات المباشرة مع إسرائيل ».

ويقول سطر المانشيت الثانى : « مخطط إسرائيلى لإقامة ١٣ ألف وحدة استيطانية جديدة بالأراضى المحتلة ».

أما السطر الثالث فيقول : « إسرائيل تبرم اتفاقاً بقيمة ٤٠٠ مليون دولار لبيع طائرات تجسس إلى روسيا ».

لم أصدق عينى وأنا أطالع هذه الأشتات المتباينة بلا تعقيب ولا تعليق، بل وبلا علامة تعجب توري بتنبه الجريدة إلى تناقض تفاؤل السيد عباس، مع خبر أو مصيبة إقامة إسرائيل ١٣ ألف وحدة استيطانية جديدة بالأراضى المحتلة، ولا مع معنى أن إسرائيل بلغت فى انتشارها وتفشيها حد إمداد روسيا هل تذكرونها ؟! بطائرات تجسس فى اتفاق بقيمة ٤٠٠ مليون دولار !!

لم أفهم معنى أن مجرد نجاح الجهود الأمريكية فى استئناف المفاوضات (المباشرة) شيء يدعو فى ذاته للتفاؤل، وزاد استغلاق الفهم عنّى، وتعجبى من جمع الأشتات بلا تفطن ولا حتى علامة تعجب، أن يُقرن نبأ «تفاؤل

(*) المال ٢٠/ ١٠/ ٢٠١٠

«السيد عباس ، بمصيبة تخطيط إسرائيل لإقامة ١٣ ألف وحدة استيطانية جديدة بالأراضى المحتلة المفترض أنها ستعاد إلى الفلسطينيين فى إطار المفاوضات (المباشرة !) التى أبهجت وتبهج السيد عباس .. فإذا كان المقصود فى اختيار مفارقات سطور المانشيت لفت أنظار عباس والقراء إلى هذه المصيبة التى تعبر عن غياب الوعى ، فإن الفطنة المفترضة فى الصحيفة وصانع المانشيتات ، توجب أن يفصح عن مراده فى تعقيب أو على الأقل بعلامات تعجب توضع فى موضعها ، وألا يترك المفارقة لملاحظة قد تنتبه إلى ما وراء السطور وقد لا تنتبه ، اللهم إلاّ أن تكون الفطنة غائبة أيضا عن ذات كاتب هذه المانشيتات ومضمون الخبر ، وعن الصحيفة ذاتها ، وهذه فى ذاتها مصيبة .. لأنها تورى بأن الموت قد زحف على وعى الجميع ، وأن المهزلة التى نعيشها قد بلغت مداها وعششت فى نفوس الناس حتى لم يعد لدى أحد القدرة على الغضب أو الغيرة أو حتى فهم ما يجرى والانتباه إليه .. والأغرب أن تقترن هذه الغيبوبة ، بمفارقة أخرى ، يثيرها مانشيت الخبر التالى بذات الصفحة الخامسة عشرة ، فالمانشيت الآخر يقول : «نجاد يختتم زيارته اللبنانية بزيارة «بنت جبيل» قرب الحدود الإسرائيلية . الرئيس الإيرانى يشيد بصمود المقاومة .. ويتنبأ بزوال الصهيونية ».

الرئيس الفلسطينى المنتهية ولايته ، متفائل لمجرد استئناف المفاوضات المباشرة ، ورئيس دولة أقرب يشيد بصمود المقاومة .. الرئيس الفلسطينى لا يحول دون تفاؤله الأهطل ! أن إسرائيل تخطط لإقامة ١٣ ألف وحدة استيطانية جديدة بالأراضى المحتلة ، ولا ما صرح به مدير إدارة الخرائط والمساحة فى بيت الشرق بالقدس المحتلة من أن النشاط الاستيطانى لم يتوقف

قط خلال فترة التجميد الإسرائيلى المزعوم للبناء ! بينما رئيس دولة أخرى يشيد بأن «بنت جبيل» هى قلعة المقاومة وعرين الانتصارات ! الرئيس الفلسطينى لا يقرأ الأحداث ولا يرى ما يجب عليه أن يراه أن إسرائيل تزداد قوة ، وأنها تمد روسيا الآن بطائرات التجسس ، وتموه بوقف استيطان لم يتوقف قط ، وتخطط لإقامة ١٣ ألف وحدة استيطانية جديدة بالأراضى المحتلة المفترض إعادتها بالمفاوضات (المباشرة !) إلى الفلسطينيين ، إن كان لهذه المفاوضات (المباشرة !) غاية يدركها العقلاء . ومع ذلك ورغمه فإن التفاؤل يتغشاه ، وتباركه عناوين صحيفة قومية ، بنجاح الجهود الأمريكية لاستئناف المفاوضات (المباشرة !) مع إسرائيل !!

إن أشرّ من الكذب على الآخرين ، وخداعهم الكذب على النفس ، ومخادعتها بالاحتيال عليها ! قد يتوهم الآدمى أن صدقه مع نفسه قريب المنال لأنه مفترض ، ما دام لا يوجد رجاء فى غش النفس وخداعها ، وإنما الرجاء إن كان مأمول نفعه فى غش وخداع الآخرين !

على أن هذا الصدق مع النفس ، الذى يبدو مفترضا قريب المنال ، هو أبعد ما يكون عن تناول معظم الناس . مرد ذلك إلى تراكمات كثيرة تتسرب إلى النفوس فتحل وتجذر فيها مقاييس ومعايير مختلة ، وتنفض عنها قيم الحق والسداد والصواب .. إن احترام الذات هو المفتاح الرئيسى للصدق مع النفس ، ويبدو أن هذا الاحترام قد صار معطوباً أصابته علل وأسقام ، ولم يعد إلاَّ كلمة تقال أو مظهرا مفتعلا ليس له من الواقع أى نصيب !

يبدو أن ما يخايل الآدمى من أنه من المحال ألا يكون صادقا مع نفسه ، هو وَهْمٌ وسراب يحسبه الظمآن ماءً .. فحياة الفرد من بدايتها نسيج مرقع

ويرقع باستمرار بخيوط من عدم الصدق.. مع المحيط ومع النفس .. ومن يراقب نفسه بإخلاص بلا عناد ولا مكابرة سيرى ذلك شاخصا حاضرا فيما يأتيه أو يتركه أو يقوله أو يكف عنه .. ومن يراقب أحوال الناس ، سيرى أن هذه الآفة تتسع مع اتساع الأطماع فى المكانة والريادة والرئاسة ، لأن ضريبة هذه المواقع تستأدى حصيلتها من الصدق الواجب مع النفس .. وتنحر منه نحراً متواصلاً ، لأن حساب الربح والخسارة لا يمشى بالتوازى مع الصدق مع النفس ومع الآخرين ، بل يناقضه حتى صرنا نفرح بما يحزن ، ونتفاءل بما يكئب .. إن كل الشواهد والأدلة التى نراها ويتفاءل بها السيد عباس ومن يجرى مجراه ، تنبئ بأن إسرائيل ماضية إلى غايتها من استيلاء على كامل فلسطين ، وتركيع للعرب . لجميع العرب !!